في حوار مع خبير المستقبليات الدكتور المهدي المنجرة

عندما تتوفر الديمقراطية.. ممثلو الشعب سيجيبون عن سؤال الأزمة

أكد الدكتور المهدي المنجرة أن المغرب يعيش وضعية لا يمكن للمواطن أن يكون مرتاحا لها، موضحا أن الأزمة تطال جميع المستويات.
وجدد خبير المستقبليات التحذير في نفس السياق من الانتفاضات الناتجة عن الفوارق بين الفقراء والأغنياء بين الحكام والمحكومين، داعيا في حوار مع "جريدة العدالة والتنمية"، على هامش منحه جائزة الدفاع عن الكرامة لترانسبرانسي والمحامين أصحاب "رسالة إلى التاريخ"، إلى إرجاع الثقة للمؤسسة التعليمية لدى المواطن والقضاء على الفقر والأمية. وفي ما يلي نص الحوار:

■ لماذا اخترتم منح جائزة الدفاع عن الكرامة لترانسبرانسي والمحامين أصحاب رسالة إلى التاريخ؟

■■ لأن ترانسبرانسي قامت بعمل جبار وذلك منذ إنشائها وبطريقة جيدة، فهي تصدر تقارير بشكل دوري ناهيك عن وجود حب العمل لديهم، وترانسبرانسي بها نضال بمقاصد محددة، وهي محاربة الرشوة التي هي من أسباب التخلف، والمحامين الثلاث كانت لهم الشجاعة والجرأة لوصف واقع القضاء في مدينة تطوان وتقديم حجج كثيرة على هذا الواقع، لكن للأسف بدلا من مكافأتهم على عملهم هذا تمت معاقبتهم.

■ بصفتكم عالم مستقبليات سبق أن تنبأتم بمجموعة من التحولات.. هل العالم يشهد حربا حضارية جديدة كما قلتم بذلك؟

■■ أنا قلت منذ سنة 1981 إن العالم سيشهد حربا حضارية، وذلك في برنامج للتلفزة الفرنسية عندما طلبوا مني أن أتحدث عن توقعاتي بخصوص عقد الثمانينات، وقلت إنه لديكم ثلاث تخوفات وهي الديمغرافية والإسلام واليابان وهذا الأمر كان قبل ربع قرن، واليوم فالاهتمام بالديمغرافية لم يعد موضوع جدل، والإسلام أصبح يحتل درجة متقدمة من حيث التخوف حيث دخلنا في ما يسمى بالإسلاموفوبيا والثالث اليابان التي عوضتها الصين، واليوم تواجه أمريكا الصين بحملة كبيرة في ما يخص اقتصادها لأن الصين أصبحت القوة الاقتصادية الثانية والأمريكيون يتوقعون أن تصبح الصين بعد 10 سنوات القوة الاقتصادية الأولى، ولهذا نفهم الدعاية التي تروج عن المنتجات الصينية حتى في بعض الجرائد المغربية، لتخويف المغاربة من المنتجات الصينية لأنهم يخشون من هذه المنتجات.

■ في سياق مماثل.. أين وصل الحوار شمال جنوب؟

■■ لم يكن هناك في أي وقت حوار شمال/جنوب، لأنه لا يمكن أن يكون هناك حوار بين أطراف غير متكافئة، خصوصا وأن المسؤولين في الجنوب قد فهموا أنه لا بقاء لهم في السلطة دون دعم الشمال، والضمانة للبقاء في دول العالم الثالث مع بعض الاستثناءات القليلة في فينزويلا والبرازيل وشيئا ما إيران، دون الاتفاق مع ما كان يسمى بالاستعمار ونحن اليوم نعيش عصر الاستعمار الجديد، خصوصا أن هذا الاستعمار في السابق كان فيه نوع من التعددية، أما الآن فالعالم يعرف ما يسمى بالميغا-أمبريالية، أي الاستعمار مضروب في ألف، والإهانة الكبرى هي الزيارة الأخيرة لبوش للمنطقة وهذه الحفاوة الكبرى التي يستقبل بها.. لقد أصبحنا نعيش في ذل سميته "الذلقراطية".

■ وما مآل الحوار جنوب-جنوب ؟

■■ آمنت به كفكرة ولازلت أناضل من أجله مع مفكرين وعلماء يعانقون نفس القضايا، لكن توصياتنا بهذا الخصوص تبقى حبرا على ورق وحكومات العالم الثالث تبقى مخلصة للشمال وترفع شعار جنوب-جنوب، هل تتصور أن نسبة التبادل التجاري بين الدول العربية لم يصل بعد 5 بالمائة، وهو مثال عن طبيعة العلاقة الموجودة بين دول الجنوب، لقد اخترعت مقياسا أسميته "اليزومتر" baisometre لقياس عدد القبل التي يتبادلها رؤساء الدول العربية في ما بينهم وعدد القبل يظهر وجود حرمان بين رؤساء الدول العربية!

■ كيف تقيمون الوضع العام بالمغرب؟

■■ المغرب في وضعية لا يمكن للإنسان أن يكون مرتاحا لها، و يعيش أزمة حقيقية، وهذا يتضح بجلاء من خلال تقارير البنك العالمي ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية، وإن كان تحليلنا لوضع المغرب لا يحتاج بالضرورة الاعتماد على تلك التقارير، فالفقر والأمية والبطالة ازدادت بنسبة كبيرة. وهو اليوم من آخر دول العالم في جودة التعليم، أقولها وأتحدى من ينكر هذا الأمر فأنا قضيت 50 سنة كأستاذ جامعي، والتي هي اليوم في حالة يرثى لها، بل إن المغاربة لم تعد لهم ثقة في مؤسساتهم التعليمية، حيث يتوجهون بأبنائهم نحو المدارس الأجنبية ليضمنوا لهم مستقبلهم، مع أن هذا يكرس نوعا من الطبقية والعنصرية بين أبناء المجتمع المغربي.
البلاد في وضعية مزرية من حيث انتشار الرشوة في الكثير من دواليب الدولة، الرشوة طالت حتى ميدان العدل للأسف الشديد. وأعتبر أن العولمة من بين الأسباب الكبرى وراء تفشي الظاهرة في بلادنا، وكلما تعاملت مع الخارج في إطار ما يسمى بالمساعدات الفنية، كلما كانت هذه المساعدات مدخلا لتفشي الرشوة لدرجة أن بعض الأطراف داخل البنك الدولي انتقدوا هذا الأمر.
ومن الناحية السياسية يمكن أن نقول نفس الشئ عن دول العالم الثالث التي سارت في هذا الاتجاه إذ تبين أن حكام العالم الثالث ليس لهم ثقة في الاعتماد على النفس في الاقتصاد، وبالتالي ليس لهم ثقة في البقاء السياسي. والفجوة التي تراكمت بين الغني والفقير هي نفس الفجوة التي أصبحت اليوم بين الحكام والشعوب، إذن المغرب ليس استثناء. والملاحظ أن هذه الفجوة في اتساع مستمر، وكلما اتسعت ستؤدي إلى تنامي الفقر، مما سينتج عنه انتفاضات شعبية عارمة، يكفي أن تتجول في الشارع لترى ذلك على ملامح المواطنين، وكتابي "الانتفاضات في زمن الذلقراطية" الصادر منذ عام 2000، أكدت فيه على أن الانتفاضات ستنتشر ليس لأسباب سياسية فقط بل لأسباب اقتصادية، بعدما زاد عدد الفقراء في المغرب وخارجه، للتحذير من ذلك، حيث كان الهدف من تأليفه هدفا وقائيا بالدرجة الأولى.

■ هل الوضع السياسي في المغرب يعيش أزمة في ظل نسبة مشاركة متدنية؟

■■ يعيش المغرب أزمة شاملة والوضع السياسي فقط تجلي من تجلياتها، فقبل سنتين قلت في ندوة بمدينة المحمدية، إنه إذا جمعنا 16 حزبا من الأحزاب المهمة في المغرب، وقمنا باستطلاع حقيقي، فإن هذه الأحزاب لن تحصل إلا على 16 بالمائة من نوايا التصويت، وهو ما أكدته الانتخابات الأخيرة
فالشعب المغربي له من الإمكانيات الشيء الكثير لكن إمكانياته لا تسعفه، كالسيارة التي يمكنها أن تسير بسرعة 150 كلم في الساعة لكن بعض الأجهزة لديها ضعيفة لا تسمح لها بالسير بهذه السرعة بل تسمح لها فقط بالسير بسرعة 40 كلم في الساعة و أنا لست متشائما، المغرب لا يمكن أن يحقق تنمية حقيقية بسوق لا تتجاوز 30 مليون مستهلك، ولعل الدول الأوروبية فطنت إلى الأمر واتجهت للتكتل، والمجموعات الاقتصادية التي يقل عددها عن 400 مليون لا أمل لها في تنمية حقيقية لا أمل لها في التقدم التكنولوجي انطلاقا من الاعتماد على النفس بل ستبقى دائما مضطرة لشراء التكنولوجيا حتى يقال إن هناك نقلا للتكنولوجيا في حين أن التكنولوجيا لا يمكن نقلها لأن العقول المحلية هي التي تقف وراء هذه التكنولوجيا.

■ المغرب اعتمد المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.. هل يرجى منها شيء؟

■■ صحيح الأساس في أي تنمية هو العنصر البشري، لكن التقرير الأخير للبنك الدولي يقول إنها فشلت..

■ (مقاطعا) لماذا؟

■■ لغياب الديمقراطية، ولم يكن وراءها تخطيط حقيقي، وكانت نوعا من الدعاية السياسية في ظل مركزية كبيرة.

■ هل نحن بحاجة لبناء نموذجنا التنموي الخاص؟

■■ للأسف ظلت التنمية في العالم الثالث مبنية منذ أكثر من ثلاثين سنة على تقليد نموذج الآخر وبالخصوص نموذج الدول الصناعية، فقد كان العالم الثالث يظن دائما بتقليده لنموذج الآخر في التنمية يمكن أن يحقق ما حققه الآخر من نجاح. وهو ما أكده ابن خلدون بالقول إن المغلوب مولع بتقليد الغالب، هذا الاقتصاد نجح في بيئته، فأنا لا أستطيع أن أنقل نخلة من جنوب المغرب وأزرعها في "هلسنكي" وأنتظر آن تؤتي الثمار.
عندما تعتمد على الآخر فلن تتعلم الاعتماد على النفس، وهذا أكبر خطأ وقع بالمغرب حيث إن المواطنين لم يتعلموا الاعتماد على أنفسهم، في الوقت الذي ظلت الدولة تتصرف كما تريد فتعقد الاتفاقيات وتتعامل مع المؤسسات الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي دون حسيب ولا رقيب.
ولطالما نبهنا إلى خطورة الأمر وأن هذه السياسة المتبعة تهدد بالسكتة القلبية واقترحنا حلولا ناجعة من أجل تبني سياسة الاعتماد على النفس، لكن الإشكالية مفهومة الآن: لا يمكن فصل السياسي عن الاقتصادي عن الاجتماعي وعن الثقافي فهم أشبه بفصول السنة كل فصل مرتبط بالآخر، لا يمكن الحديث عن التنمية الاقتصادية دون الحديث عن السياسة بمفهومها الشامل.

■ هل كانت هذه السياسة سببا في هجرة الكفاءات العلمية؟

■■ هجرة الأدمغة مسألة لا تطال فقط العلماء بل حتى الرياضيين والفنانين، فعدد المغاربة الذين يتخرجون من المدارس الكبرى لا يرجع منهم سوى 10 بالمائة، وهذا يعني ضياع المغرب في 90 بالمائة من خيرة أبنائه، وهم الذين صرفت عليهم أموال كبيرة من أجل تكوينهم وهي أموال دافعي الضرائب، ليتم إهداؤهم بعد ذلك للدول المتقدمة.
وما يجب التأكيد عليه أن أسباب الهجرة متعددة وهي ليست بسبب البحث عن ظروف معيشية راقية فقط، بل هي نتيجة لغياب ظروف البحث العلمي و حرية التعبير، خصوصا أن الكثير من الكفاءات العلمية يتم التحكم فيها من قبل عقليات بيروقراطية، وأنا نموذج لهذا الإقصاء الأعمى حيث تم منعي لأكثر من 11 مرة من التواصل مع الجمهور، واليوم أنا متوجه لليابان البلد الذي أزوره للمرة 21، وهناك مئات من النماذج الأخرى، و كنت في السابق أنصح الكفاءات المغربية بالعودة إلى أرض الوطن أما اليوم فأقول لهم أن يقيموا في أي مكان يستطيعون من خلاله تحقيق تراكم للمعرفة.

■ ما هي الوصفة التي يمكن اعتمادها لتلافي أسوء السيناريوهات ؟

■■ كلمة واحدة وهي الديمقراطية أو الشورى بالمصطلح القرآني "وأمرهم شورى بينهم"، وللأسف همش الشعب المغربي، والقرارات تتخذ بطريقة إقطاعية فيودالية، واقتصادنا للأسف اقتصاد إقطاعي، وعندما نتحدث عن الديمقراطية فذلك بهدف الحد من هذا الاقتصاد الإقطاعي، فأنا لست شيوعيا، لأن الله يرزق كل واحد، وبدون الديمقراطية لا يمكن اقتراح حلول للخروج من هذه الأزمة. وعندما تتوفر ديمقراطية وبرلمان حقيقي ينتخب من قبل الشعب، ساعتها يكون الممثلون الحقيقيون للشعب هم من لهم الحق في الإجابة عن السؤال. من له الحق اليوم في السلطة؟ فإذا كان الشعب هو من له الحق في السلطة، فيجب أن يختار هذا الشعب من يحرر دستوره وقوانينه، وطبعا أنا لست ضد الملكية، بل العكس، أنا أخشى العسكريين، وآمنا داخل الحركة الوطنية بما سميناه الملكية الدستورية، لكننا إلى اليوم لا نعيش في ظل هذه الملكية الدستورية، بل نحن نعيش في مملكة شبه دستورية مادام الدستور شبه دستور .

■ هل لعلم المستقبليات دور على المستوى الوقائي؟

■■ بالفعل الدراسات المستقبلية وقائية، هي مثل أن يلجأ الإنسان لأخذ حقن المضادات الحيوية عند اقتراب فصل الخريف، ودورها التحذير وفق سيناريوهات متباينة ومؤشرات مختلفة، ليتم إصلاح الأوضاع وفق هذه التصورات لكن أنا لن أتحدث عن علوم المستقبليات، لأن المستقبليات ليست علوما مثل الكيمياء أو الفيزياء التي يمكن التحقق من نتائجها داخل المختبر، بل هي مرتبطة بأشياء معقدة جدا تتعلق بالإنسان، إذ أن العالم والكون معقد الفهم بالصفة التي أوجده الله عليها.

■ ما هي توقعاتكم بخصوص الخريطة السياسية لـ2009؟

■■ أنا لا انتظر أي تغيير حقيقي ولم أشارك يوما في الانتخابات ولا أومن بالدستور، لأنه غير مقدس، والمقدس عندي هو القران الكريم والإنسان الذي كرمه الله، والانتخابات غير مقدسة لأن مصدرها لم يأت من الشعب، ولا يمكن توقع أي تغيير إلا إذا وقع على مستوى التركيبة العقلية للمسيرين.

■ ماذا تقصد بالمسيرين؟

■■ أنا لا أقصد بكلامي هذه المؤسسة الملكية فقط وكما قد يفهم، بل كل متخذي القرار في البلاد، لأن اليد الواحدة لا تصفق، في وضع وصلت فيه الانتهازية وضعا لا يطاق، وفي هذا المناخ السياسي الموجود يتجه أكثر من 30 حزب نحو صناديق الاقتراع، من هي البلاد التي تحتاج لثلاثين حزب والكثير منها مدفوع من قبل وزارة الداخلية ؟.

■ ارتبط الثقافي بالسياسي خلال الحملة الانتخابية بشكل فاضح كيف تقيمون الوضع الثقافي بالمغرب؟

■■ للأسف ليست لنا سياسة ثقافية، وليس لنا وزير حقيقي في الثقافة ولتسمح لي وزيرة الثقافة الجديدة، السياسة الثقافية للمغرب يتم إقرارها داخل السفارات الأجنبية والمعهد الثقافي الفرنسي هو وزارة الثقافة الحقيقية.
أنا نظمت أول مهرجان سنة 1959 عندما عينت مديرا للإذاعة وسجلنا جميع موسيقى مناطق المغرب، وبهذه الطريقة جمعنا تراثا غنيا للإذاعة، وأظن أن المهرجانات شيء ضروري لكن يبقى هناك فرق بين مهرجان موجه إلى الشعب، ومهرجان لغير ذلك، فالمهرجانات في البلدان الأوربية وغيرها تنظم من أجل المواطنين ويأتي الأجانب لهذه المهرجانات عندما يحقق هذا الأخير شهرة واسعة، كمهرجان أفنيون بفرنسا، أما نحن فعندما نقيم أي مهرجان فآخر ما نفكر فيه هو المواطن المغربي، ويبقى الغرض منها تجميل صورة المغرب في الخارج.

■ علاقة الدكتور المنجرة بالفن و بن يسف الفنان التشكيلي المغربي ؟

■■ منذ صغري وأنا مهتم بالفن، وشاءت الظروف أن أكون مسؤولا عن الثقافة في"الإسيسكو"، تأثرت كثيرا بن يسف واهتمامي بالفنون التشكيلية كان قبل معرفتي لبن يسف وهو جزء من ظاهرة هجرة الأدمغة، وعندما يكون هناك معرض لابن يسف فأنا أحضره أين ما نظم، ويعتبر من بين ثلاث أهم رسامين في اسبانيا بشهادة الإسبان أنفسهم وخلال الانتخابات الإسبانية الأخيرة في جريدةabc كانت هناك ثلاث صور للذين صوتوا: الوزير الأول ولاعب كبير لكرة القدم وبن يسف.

■ والموسيقى؟

■■ وقعت لي طرفة لها علاقة بالموسيقى فعندما كان عمري سنتين ضربني والدي رحمه الله بسبب تكسيري لأسطوانة" جفنه علم الغزل " لمحمد عبد الوهاب وكانت المرة الأولى والأخيرة التي ضربني فيها.
أحب الاستماع إلى بتهوفن والطقطوقة والفن بالنسبة إلي هو التعددية بالأساس، وكنت محظوظا لاحتكاكي بعمالقة الموسيقى لما كنت مديرا للإذاعة، حيث أسسنا الجوق الوطني وجوق الوكيلي للطرب الأندلسي.. الله يرحم البيضاوي ولوكيلي.
الفنان له مقاصد وهو أن يشرك فنه مع الآخرين، رغم أن الكثير من الفنانين توفي وهو لا يملك شيئا، الشرقاوي توفي وهو لا يملك شيئا ولوحاته اليوم يصل ثمنها لأكثر من 100 مليون سنتيم، الغرباوي نفس الشيء أين يمكن أن تجد المرحوم البيضاوي في الموسيقى اليوم والراشدي وحسين السلاوي الذي هو أب الموسيقى المغربية وهو أبدع موسيقي فيها نقد ولو كان حيا لمنحته جائزة "الدفاع عن الكرامة".

حاوره: هشام الأحرش

■ ليست لنا سياسة ثقافية والمعهد الثقافي الفرنسي هو وزارة الثقافة الحقيقية

■ المبادرة الوطنية للتنمية البشرية فشلت لأنه لم يكن وراءها تخطيط حقيقي

■ لم يكن هناك في أي وقت حوار شمال/جنوب لأنه لا وجود لحوار بين أطراف غير متكافئة

■ المغاربة لم تعد لهم ثقة في مؤسساتهم التعليمية فهم يتوجهون بأبنائهم نحو المدارس الأجنبية ليضمنوا لهم مستقبلهم

■ الفجوة التي تراكمت بين الغني والفقير هي نفس الفجوة التي أصبحت اليوم بين الحكام والشعوب